



الشيخ محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... الزيارة ـ أبعادها التوحيدية والسياسية
المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي
الطبعة الأولى: .... ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م
الكمية .... ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

أُسرة التوحيد في التاريخ

أُسرة التوحيد أُسرة واحدة في القرآن، موصولة الحلقات، ورائد هذه الأُسرة وأبوها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام.

يقول تعالى: ﴿**هُوَ اجْتَبَاكُم وَما جَعَلَ عَلَيْكُمْ في الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبيكُمْ إبْراهيمَ هُوَ سَمّاكُمُ الْمُسْلمينَ مِنْ قَبْلُ وَفي هذا لِيَكونَ الرَّسُولُ شَهيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاس**﴾.[1]

ورسول الله صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء في هذه الأُسرة، وبه صلى الله عليه وآله تختم رسالات الله. وهذه الأُسرة شجرة طيبة، ممتدّة الجذور، مباركة الأغصان والفروع، طيبة الثمار، ممتدّة في التأريخ، واحدة بنص القرآن: ﴿**إنّ هَذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون**﴾.[2]

﴿**وَإِنّ هَذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون**﴾.[3]

وللقرآن اهتمام بليغ بإبراز وحدة هذه الأُسرة وتماسكها وتمتين العلاقة بين شرائح وأجزاء هذه الأُسرة الواحدة، وتعميق العلاقة داخل هذه الأُسرة.

---

(١) الحج: ٧٨.

(٢) الأنبياء: ٩٢.

(٣) المؤمنون: ٥٢.

ويدخل هذا الإهتمام في صلب منهج التربية الإسلامية في الإشعار بوحدة هذه الأُسرة، وفي تعميق الإيحاء بالإنتماء إلى هذه الأُسرة. وفي طرح رموز هذه الأُسرة ورجالها الصالحين قدوة وأسوة في حياة الناس. وفي تأكيد وراثة التوحيد وقيَم التوحيد داخل هذه الأُسرة جيلاً بعد جيل، وفي تمتين العلاقة بين حلقات هذه الأُسرة.

التواصل واللقاء بين أجيال هذه الأُسرة:

وفيما يلي أمثلة من إهتمام القرآن بهذا التواصل بين حلقات هذه الأُسرة في التاريخ، وربط الحاضر بالماضي، والفروع بالأُصول:

١ ـ التعارف داخل هذه الأُسرة والتذكير بالصالحين من أعضاء هذه الأُسرة، والتنويه بأسمائهم، والإشادة بذكرهم والتعريف بهم. وفي القرآن إهتمام كبير بهذا الأمر، واليكم شواهد على هذا الاهتمام:

﴿**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا**﴾.[1]

---

(١) مريم: ١٦.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.[1]
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾.[2]
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيًّا﴾.[3]
﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾.[4]
﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.[5]
﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.[6]
﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.[7]
﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنْ الأَخْيَارِ﴾.[8]

---

(١) مريم: ٤١.
(٢) مريم: ٥١.
(٣) مريم: ٥٤.
(٤) مريم: ٥٦.
(٥) ص: ١٧.
(٦) ص: ٤١.
(٧) ص: ٤٥ ـ ٤٦.
(٨) ص: ٤٨.

٢ ـ إقامة العلاقة بين حلقات هذه الأُسرة على أساس «السلام» وإنتزاع الغل والحقد والحسد من بين أجيال هـذه الأسـرة وربـط الحاضر بالماضي والأبناء بالآباء، والخلف بالسلف الصالح من هذه الأُسرة على أساس «السلام»، وعلاقة السلام من أبرز وأفضل العلاقات داخل هذه الأُسرة، يقول تعالى:
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾.[2]
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾.[3]
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ * سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ﴾.[4]
﴿وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.[5]

وعلاقة السلام تقتضي وحدة المنطلق، ووحدة الغاية، ووحدة الخط، ووحدة الأداة في تحقيق تلك الغاية، ووحدة المنهج،

---

(١) الصافات: ٧٨ ـ ٨١.
(٢) الصافات: ١٠٨ ـ ١٠٩.
(٣) الصافات: ١١٩ ـ ١٢٠.
(٤) الصافات: ١٢٩ ـ ١٣٠.
(٥) الصافات: ١٨١ ـ ١٨٢.

ووحدة السلوك والرأي.

ومن دون هذه الوحدة الشاملة لا معنى لهذا «السلام».

٣ ـ علاقة التوارث بين أجيال هذه الأُسرة، فيرث الخلف الصالح من السلف التوحيد وقيم التوحيد والدعوة إلى التوحيد.

يقول تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾.(١)

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾.(٢)

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾.(٣)

﴿وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.(٤)

وبموجب هذه العلاقة يأخُذُ الخلف من السلف التوحيد وقيَم التوحيد، لينقل بدوره هذه القيَم إلى الجيل الذي يلي من بعده.

٤ــ تعميق الإنتماء إلى هذه الأُسرة، وقد اعتبر الله تعالى

(١) غافر: ٣٢.

(٢) غافر: ٥٣.

(٣) المؤمنون: ٩ ـ ١٠.

(٤) الأعراف: ١٧٠.

إبراهيم عليه السلام ـ رائد هذه الأُسرة ـ أباً لكل الموحِّدين، واعتبرهم أبناءً له.

وهذا الإنتماء الواضح والصريح يربط أجيال هذه الأُسرة بعضها ببعض بأقوى الوشائج والعلاقات.

يقول تعالى:

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾.(١)

٥ ــ وأمر الله تعالى أجيال هذه الأُسرة بالاقتداء بالأنبياء والمرسلين والصالحين والصديقين من أعضاء هذه الأُسرة من الماضين والمعاصرين.

يقول تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.(٢)

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾.(٣)

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ﴾.(٤)

(١) الحج: ٧٨.

(٢) الأحزاب: ٢١.

(٣) الممتحنة: ٤.

(٤) الممتحنة: ٦.

وبعد أن يستعرض القرآن عدداً من أنبياء الله وأوليائه الصالحين يأمر تعالى بالإقتداء بهم والأخذ بهُداهُم والإقتباس مما رزقهم الله تعالى من النور، يقول تعالى:

﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ...أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾.[1]

٦ ـ علاقة الدعاء: دعاء الجيل اللاحق للجيل السابق وهو من أروع وأفضل العلاقات بين الخلَف والسلف، الشهادة من الخلَف للسلف بالسبق والإيمان، والدعاء إلى الله تعالى لهم بالمغفرة والرحمة.

(١) الأنعام: ٨٣ ـ ٩٠.

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.[1]

إذن الإرتباط والإنشداد بالسلف الصالح جزءٌ أصيل من منهج هذا الدين في التربية.

وللتواصل والإرتباط بين الأجيال في القرآن ثقافة متميزة، يثقف بها القرآن المؤمنين على الإرتباط والإتصال عَبْر الأجيال داخل الأُسرة المسلمة، الممتدة من عهد إبراهيم عليه السلام بل من عصر نوح عليه السلام إلى اليوم، عَبرَ أنبياء عظام، أولي العزم مثل موسى بن عمران وعيسى بن مريم عليه السلام ومن أولئك خاتم الأنبياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا التواصل والارتباط من أهم خصائص أُسرة التوحيد.[2]

الزيارة:

وإذا عرفنا أنَّ «التواصل» و«التوارث» و«التسالم» و«التحابب» و«التلاقي» بين أجيال الموحدين من خصائص هذا الدين...

(١) الحشر: ١٠.

(٢) نقصد بذلك من لم يشط عن صراط التوحيد.

عرفنا أن الوسائل التي تبلور هذا «اللقاء» بين الأجيال، وتعبِّر عن مشاعر الخلف تجاه السلف،... هذه الوسائل تدخل في صميم منهج التربية الإسلامية لتحقيق تلك الغاية.

وزيارة قبور الأنبياء وخلفائهمعليهم السلام وأولياء الله والصالحين من عباد الله، والسلام عليهم، والدعاء لهم، والشهادة لهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف من أهم عوامل تبلور هذا اللقاء بين أجيال المؤمنين.

ففي هذه الزيارات التي يألفها المؤمنون لقبور أولياء الله وقبور المؤمنين وما يقترن بها من سلام ودعاء وشهادة يعبّر المؤمنون عن هذه المشاعر جميعاً تجاه أُمة من المؤمنين سبقتهم بالإيمان، وأقامت الصلاة، وأدّت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهضت عن المنكر، ونهضت برسالة الدعوة إلى توحيد الله تعالى، قبلها، ووطّأت لها الطريق إلى الله، وعبّدت الناس لله تعالى، ورفعت كلمة التوحيد من قبلها بين الناس.

ولا بُدّ لهذا الجميل، من وفاء، والزيارة تعبير عن هذا الوفاء، وفاء الأبناء للآباء، ولابُدّ لهذا الدور الرائد في الدعوة إلى توحيد الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من شهادة، والزيارة تعبير عن شهادة الأبناءِ للآباءِ، والسلف للخلف.

والزيارة تعبير عن مشاعر السلام والحب في علاقة الخلف بالسلف، وتجسيد لما أمر الله تعالى به من التواصل، والتراحم بين المؤمنين والتأسّي بالصالحين، وذكرهم، والتذكير بهم، والإشادة بذكرهم.

وقد ألّف المؤمنون كل ذلك بصورة فطرية في حياتهم في زيارة قبور الأنبياء والصالحين بل المؤمنين جميعاً، وقد صحّ أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كانوا يزورون قبور شهداء احد وقبر حمزةعليه السلام، كما صحت الروايات إنّ فاطمةعليها السلام إبنة رسول الله صلى الله عليه وآله كانت تلتزم بزيارة قبر حمزةعليه السلام وتقترن هذه الزيارات غالباً بالصلاة والدعاء والذكر والإقبال على الله؛ والنصوص المأثورة في الزيارات غنية بذلك كلّه.

* * *

ومن عجب أنَّ بعض المذاهب الإسلامية ينكر على المسلمين الإهتمام بزيارة قبور الأنبياء وأئمة المسلمين والصالحين والدعاء والصلاة عند قبورهم. ويشذّ هؤلاء عن الحالة العامة التي يألفها المسلمون في التردد على قبور الصالحين، وزيارتهم والدعاء والصلاة والذكر عند قبورهم وتعدّ ذلك منكراً من الشرك بالله العظيم.

ولسنا نعرف سبباً لذلك غير أن نقول أنَّ هؤلاء لم يحسنوا فهم هذه الظاهرة الإسلامية والمفاهيم والقِيَم التي تتضمنها.

ولست ادري أيّ منكر هذا المنكر الذي لم يرتدع المسلمون عنه، مع هذا الإنكار والتشديد الغليظ في المنع عنه منذ نصف قرن.

فإمّا أن نتّهم فهم المسلمين ووعيهم لدينهم جميعاً بعد هذا الإنكار والتشديد في المنع منذ نصف قرن.

وإمّا أن نتّهم هؤلاء في فهمهم للتوحيد والشرك.

سدّد الله الجميع وأخذ بأيدينا إلى مرضاته على صراطه المستقيم.

البُعد السياسي والحركي في الزيارات

في النصوص الواردة في زيارة رسول الله ﷺ والأئمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام نجد أنحاءً من الأفكار، نشير إلى نموذجين منها:

والنحو الأول من الأفكار ما يتعلق بالعلاقة السياسية والحركية بين الأُمّة والإمام.

والنحو الثاني من الأفكار ما يتعلق بالعلاقة الشخصية القائمة بين الزائر والإمام.

وسوف نستعرض في هذا المقال المضامين الواردة في الزيارات في كل من هاتين الدائرتين.

١. الزيارة في دائرة العلاقة السياسية العامة

للقضيّة العقائدية والسياسية مساحة واسعة من نصوص الزيارات المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام، وأقصد بالقضية السياسية مسألة الإمامة والولاية بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي ذات صلة وثيقة بكل ما جرى على المسلمين في أيام بني أميّة وبني العباس وبعدهما من انحراف عن خط الإسلام الأصيل وفكره وثقافته.

فقد تولّى السلطة في عصور الحكم الإسلامي ناسٌ غير مأمونين على الإسلام والمسلمين وثروات العالم الإسلامي؛ فأضرّوا بالإسلام والمسلمين كثيراً، وكان منهج أهل البيت عليهم السلام مقاومة ومعارضة الحكومتين المعاصرتين لهم.

وهذه المعارضة والمقاومة السياسية لنظامين قويين غنيين مثل الحكم الأُموي والعباسي تركت آثاراً واضحة في أدب التشيع وثقافته وفكره وعُرِفَ الشيعة أتباع أهل البيت عليهم السلام منذ ذلك الحين بـ «الرافضة»، نظراً لرفضهم ولاية خلفاء بني اُمية وبني العباس.

واتخذ الفكر السياسي الشيعي والأدب السياسي الشيعي لون الرفض منذ أن استلم معاوية الخلافة في عصر الإمام الحسن عليه السلام

بوسائله وأساليبه المعروفة إلى سقوط دولة بني العباس.

وينعكس هذا الصراع السياسي والمعارضة السياسية على الأدعية المروية عن أهل البيت عليهم السلام بشكل واضح وبشكل خاص على زيارة الإمام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام؛ لأن فترة هذين الإمامين كانت أشدّ الفترات في تاريخ الإسلام في المواجهة والصراع.

ولعلّ ذلك هو السبب في كثرة الزيارات الواردة للإمام أميرالمؤمنين وإبنه الحسين عليه السلام وإختلافها بفارق كمّي وكيفي عن زيارة سائر الأئمة عليهم السلام.

وتتلخص القضية السياسية في هذه الزيارات كما قلنا في الشهادة والموقف، والأُولى من شأن القضاء والثانية من شأن السياسة.

والموقف يأتي بعد الشهادة.

فإن الموقف السياسي في كل صراع واختلاف يتقرر في دائرة القضاء، والقضاء الحق هو الحكم الحاسم بين فريقي الصراع، وعندئذ، وفي ضوء الحكم الذي يقرره القضاء يتقرر الموقف السياسي.

وأعدل القضاء ضمير الإنسان والإنصاف الذي أودعه الله

تعالى في فطرته.

وفي هذه المحكمة الإلهية يشهد الزائر لأهل البيت عليهم السلام بأن الحق لهم ومعهم ويشهد على خصومهم ومعارضيهم بالزيغ عن الحق والميل إلى الباطل والإنحراف في ساحة الصراع والمواجهة.

ثم انطلاقاً من هذه الشهادة... يتخذ الموقف السياسي من الفريقين المتصارعين معاً بالولاء والبراءة والإنتماء والرفض، والسلام، والصلاة، واللعن وسنعرض الآن نصوصاً من الزيارات المروية عن أهل البيت عليهم السلام في كلّ من الشهادة والموقف:

أ. الشهادة:

الشهادة بالرسالة في المرحلة الأُولى من الصراع:

والصراع ـ كما قال عمّار رضي الله عنه ـ صراعان وليس صراعاً واحداً؛ صراع على التنزيل كما كان في بدر وأُحد، وصراع على التأويل، كما كان في الجمل وصفّين والطّف، وكلّ من هذين الصراعين قائم الآن، وله إمتداد في حياتنا المعاصرة.

ونقرأ في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله عن الصراع الأوّل: «**أشهد يا رسول الله مع كل شاهد، وأتحمّلها عن كل جاحد: أنك قد بلّغت رسالات ربك، ونصحت لأُمّتك، وجاهدت في سبيل ربّك، واحتملت الأذى في جنبه، ودعوت إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة الجميلة، وأدّيت الحق الذي كان عليك، وأنك قد رؤُفت بالمؤمنين وغلظت على الكافرين، وعبدت الله مخلصاً حتى أتاك اليقين، فبلغ الله بك أشرف محل المكرمين، وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين حيث لا يلحقك لاحق، ولا يفوقك فائق، ولا يسبقك سابق، ولا يطمع في إدراكك طامع**».

وفي زيارة قبور شهداء أُحد: «**وأشهد أنكم قد جاهدتم في الله حقّ جهاده وذببتم عن دين الله وعن نبيّه، وجُدتم بأنفُسكم دونه، وأشهد أنكم قُتلتُم على منهاج رسول الله، فجزاكم الله عن نبيّه وعن الإسلام وأهله أفضل الجزاء، وعرفنا وجوهكم في رضوانه مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً**».

الشهادة للإمامعليه السلام في المرحلة الثانية من الصراع:

وهذه شهادة يسجّلها الزائر في دائرة الصراع على التأويل، وإليكم هذه الفقرات في زيارة أميرالمؤمنينعليه السلام: «**اللّهُمَّ إنـي أشهد أنه قد بلّغ عن رسولك ما حُمّل ورعى ما أُستحفظ، وحفظ ما استودع، وحلل حلالك، وحرّم حرامك، وأقام أحكامك، وجاهد الناكثين في سبيلك، والقاسطين في حكمك، والمارقين عن أمرك، صابراً، محتسباً لا تأخذه فيك لومة لائم**».

في زيارته المخصوصة بيوم المبعث النبوي الشريف:

«**كنت للمؤمنين أباً رحيماً وعلى الكافرين صبا وغلظة وغيظاً، وللمؤمنين غيثاً وخصباً وعلماً، لم تفلل حجّتك، ولم**

يزغ قلبك، ولم تضعف بصيرتك، ولم تجبن نفسك، كنت كالجبل لا تحركه العواصف، ولا تزيله القواصف، كنت ـ كما قال رسول الله ـ قوياً في بدنك، متواضعاً في نفسك، عظيماً عند الله، كبيراً في الأرض، جليلاً في السماء، لم يكن لأحد فيك مهمز ولا لقائل فيك مغمز ولا لخلق فيك مطمع ولا لأحد عنك هواده، يوجد الضعيف الذليل عندك قوياً عزيزاً حتى تأخذ له بحقه والقوي العزيز عندك ضعيفاً حتى تأخذ منه الحق».

الشهادة في الحلقة الثانية من الصراع على التأويل:

والحلقة الأُولى من الصراع في دائرة التأويل «صفّين»، والحلقة الثانية منها «الطّف». وفي الطّف يتبلور هذا الصراع بصورة واضحة، لا لبس فيها لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وفي هذا الصراع يقف الحسينعليه السلام مع إثنين وسبعين نفراً من أهل بيته وأصحابه وعصابة مؤمنة غابت عن الطّف لسبب أو لآخر في جانب... ويقف يزيد وآل أُميّة وجندهم من الشام والعراق في الجانب الآخر.

وفي هذا الصراع يظهر كل من الجبهتين المتصارعتين على حقيقته وواقعه من دون لبس، فيبرز الحسين عليه السلام بهدى النبوة، ويظهر يزيد في كبرياء الطغاة والجبابرة والمستكبرين.

وكان «الطّف» حداً فاصلاً بين هاتين الجبهتين، ولم يبق منذ يوم الطّف إلى اليوم أحد يلتبس عليه أمر هذا الصراع، ولم يعرف فيه الحق عن الباطل، إلاّ أن يكون ممن أذهب الله بنورهم، وختم على قلوبهم وعلى سمعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة.

وفي دائرة هذا الصراع يسجّل الزائر للحسين عليه السلام إبن رسول الله صلى الله عليه وآله الشهادة بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والجهاد في سبيل الله، ويسجّل لأولاد الحسين عليهم السلام من بعده في إمتداد هذا الصراع الذي إتصلت حلقاته من بعد الطّف بالإمامة والولاية والقيادة من جانب الله تعالى.

فلنقرأ بعض فقرات هذه الشهادة في زيارة الحسين عليه السلام: «**أشهد أنك قد بلّغت عن الله ما أمرك به ولم تخش أحداً غيره، وجاهدت في سبيله، وعبدته، مخلصاً حتى أتاك اليقين. وأشهد أنكم كلمة التقوى، والعروة الوثقى، والحجّة على من يبقى.**

وأشهد أنك عبدالله وأمينه، بلّغت ناصحاً وأدّيت أميناً، وقُتلت صدّيقاً، ومضيت على يقين، لم تؤثر عمى على هدى، ولم تمل من حق إلى باطل. أشهد أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر واتبعت الرسول وتلوت الكتاب حق تلاوته ودعوت إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة. اشهد انك كنت على بيّنة من ربك قد بلّغت ما اُمرت به وقمت بحقّه، وصدّقت مَن قبلك غير واهن ولا موهن. أشهد أن الجهاد معك، وأن الحق معك وإليك وأنت أهله ومعدنه، وميراث النبوة عندك».

الشهادة بالوراثة:

وهذه الإمامة التي نشهد بها في هذه الزيارة وتلك للحسين عليه السلام وأبنائه من بعده ليست إمامة مبتورة مقطوعة، وإنما تتصل هذه الإمامة بإمامة أئمة التوحيد من قبل الحسين عليه السلام في التأريخ منذ آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم إلى رسول الله وعلي والحسن صلوات الله عليهم أجمعين.

والحسين عليه السلام يرث هذه الإمامة بكل قيمها، وتراثها، وتكاليفها ومسؤوليّاتها، ودعوتها من إبراهيم عليه السلام وذرية إبراهيم:

﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

ويتحمل الحسين (عليه السلام) مسؤوليات هذه الوراثة في الطّف، ويحمل معه إلى الطّف هذا الميراث الكبير ليحاجج الناس به ويدافع عنه، ويقاتل دونه، وهذا البلاغ المبين لهذه الرسالة التي ورثها الحسين (عليه السلام) من آل إبراهيم وآل عمران.

فيشهد الزائر للحسين (عليه السلام) بهذه الوراثة في وسط المعركة الضارية، ويسجّل هنا بوضوح أن صراع الحسين (عليه السلام) ضد يزيد ليس مفصولاً عن صراع إبراهيم (عليه السلام) لنمرود، ولا عن صراع موسى (عليه السلام) لفرعون، ولا عن صراع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي سفيان، وصراع علي (عليه السلام) ومعاوية هذا **أولاً**.

وثانياً: أن محور هذا الصراع وروحه هو التوحيد في كل مراحله وحلقاته.

وثالثاً: أن الميراث الذي ورثه الحسين (عليه السلام) من آل إبراهيم وآل عمران، ونهض به في الطّف، لم يتخل عنه من بعده ذريّة الحسين (عليه السلام) الذين ورثوا الحسين وأتباعهم وأنصارهم من الذين

(١) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

ساروا على هدى آل إبراهيم وآل عمران من المسلمين.

ولنقرأ معاً هذه الفقرات الواردة في زيارة وارث في الشهادة للحسين (عليه السلام) بوراثة الصالحين:

«**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوح نبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث موسى كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث أميرالمؤمنين ولي الله**».

وهذه الوراثة لآل إبراهيم وآل عمران وإن كانت في سُلالة نسبيّة واحدة كما يقول القرآن: **﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾**، إلاّ أنها عنوان آخر غير عنوان الإنتساب الذرّي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأميرالمؤمنين (عليه السلام) بالنبوّة؛ بدليل ورود هذا العنوان مباشرة بعد هذه الشهادة:

«**السلام عليك يا بن محمد المصطفى، السلام عليك يا بن علي المرتضى، السلام عليك يا بن فاطمة الزهراء، السلام عليك يا بن خديجة الكبرى**».

الشاهد والمشهود:

والعلاقة في نصوص الشهادة في الزيارات بين الشاهد والمشهود غريبة في نوعها؛ ففي هذه الشهادات يشهد الزائر للمزور بـ «**أنك قد أقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في سبيل الله حق جهاده**».

فيكون الزائر الشاهد والمشهود له المزور. وعكس ذلك صحيح أيضاً.

فإن أنبياء الله ورُسُله وأوصياءهم شهداء على الأُمم ورسول الله ﷺ وأوصياؤه شهداء على هذه الأُمة، يقول تعالى:

﴿**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاء**﴾.[1]

﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**﴾.[2]

﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾.[3]

(١) النحل: ٨٩.

(٢) الأحزاب: ٤٥.

(٣) البقرة: ١٤٣.

﴿**وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء**﴾.[1]

﴿**فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ**﴾.[2]

فينقلب الزائرون من موقع الشاهد إلى المشهود، وينقلب الذين نقصدهم بالزيارة ونشهد لهم بالصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والجهاد من موقع المشهود له إلى موقع الشاهد.

وقد ورد في نصوص الزيارات: «**أنتم الصراط الأقوم وشهداء دار الفناء وشفعاء دار البقاء**».

وورد في الزيارة الثامنة لأميرالمؤمنين عليه السلام:

«**مضيتَ للذي كنتَ عليه شهيداً وشاهداً ومشهوداً**».

(١) آل عمران: ١٤٠.

(٢) النساء: ٦٩.

ب. الموقف:

والشهادة تستتبع في القضاء الحكم.

والحكم يستتبع في السياسة الموقف.

ولابدّ في الموقف من الوضوح والصراحة، والقوة والعطاء وتوطين النفس للتضحية والفداء.

والموقف في قضايا من أمثال صفّين والطّف في تأريخ المسلمين لا يختص بأولئك الذين يعاصرون الحدث فقط، وإنّما يتجاوزهم إلى كل من يشارك أُولئك المعاصرين للحدث في الرضا والسخط والحُبّ والبغض.

هذا من خصائص أيام الفرقان في التأريخ، التي يفترق الناس فيها إلى جبهتين متمايزتين ويرتفع اللبس فيها عن كل أحد فلا يخفى فيها الحق والباطل على أحد من الناس، إلاّ أن يكون ممّن ختم الله على قلوبهم وذهب بسمعهم وأبصارهم.

وتبقى هذه الأيام تفرّق الناس إلى فريقين وتشطرهم شطرين بالرضا والسخط، والحب والبغض على إمتداد التأريخ وترفض الفريق الثالث المتفرّج على الساحة. ويوم صفّين والطّف من ذلك.

إن كلّ من يُطِلُّ على يوم بدر وصفّين والطّف عن فهم وإدراك للفريقين المتصارعين فإما أن يقف إلى جانب هذا الفريق ويدخل في هذه الجبهة، أو يقف إلى جانب الفريق الآخر ويدخل في الجبهة الثانية ولامناص له من أحدهما... وهذا هو الموقف.

ورحم الله السيد الحميري يعكس هذا الوعي المتقدم للتأريخ والصراع بين الحق والباطل في التأريخ في أبيات من الشعر ملؤها الوعي وتحسس مسؤولية الموقف، حيث يقول:

إني أدين بما دان الوصي به ... يوم الربيضة[1] من قتل المحلينا

وبالذي دانَ يَومَ النَهر[2] دنتُ لَهُ ... وصافَحَت كَفَّه كفّي بصفّينا

تلك الدماءُ جميعاً ربّ في عنقي ... ومثله معه آمين آمينا

فإن الذي جرى في صفّين والطّف من الصراع، صراع حقيقي وحضاري لم ينقطع برفع المصاحف وتحكيم الحكمين في صفين، وبمصرع الحسين عليه السلام وأصحابه في الطّف وإنّما خَصصنا صفّين والطّف بالذكر؛ لأن الحروب الفاصلة في التاريخ الإسلام ثلاثة: «بدْر» و«صفّين» و«الطّف»، وهي أيام الفرقان الثلاثة في تأريخ الإسلام.

---

(١) يوم الربيضة: يوم الجمل.

(٢) يوم النهر: النهروان.

وتمتد هذه المواجهة، ويمتد هذا الصراع بين الفريقين إلى اليوم... وهذا هو التأريخ. وإن هذا التأريخ هو الأساس في التركيب السياسي والحضاري لحاضر هذه الأُمة ولا يمكن ولا يصح فصل «الماضي» عن «الحاضر»؛ والأبناء يرثون «المواقع» و«المواقف» عن آبائهم. وأقصد بالموقع: الحدث التأريخي، وبالموقف: ما يجب على الإنسان من قول وفعل تجاه الحدث، فإذا كانت «الموقعة» صراعاً حضارياً ولم تكن صراعاً على جزيرة في البحر أو مساحة من الأرض فإنها تنتقل من جيل إلى آخر، وتخترق الماضي وتتصل بالحاضر ويتوارثها الأبناء عن الآباء وعندئذ لا يمكن فصل «المواقف» عن «المواقع» فتنتقل هذه المواقع إلى الجيل الحاضر بما يتطلب من «المواقف» بالنسبة إلى كلّ فريق من الفريقين المتصارعين.

فإن هذا الإرث لا يختص بفريق دون فريق فكما يرث الصالحون مواريث الصالحين من المواقع والمواقف كذلك يرث المستكبرون وأتباعهم مواريث المستكبرين من المواقع والمواقف ونحن نقرأ في النصوص المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام في الزيارة ميراث المواقف بوضوح بصور مختلفة، وإليك بعض النماذج من هذه المواقف.

الولاء والبراءة:

ومن أبرز هذه النماذج الولاء لأولياء الله والبراءة من أعداء الله وهذا الولاء وهذه البراءة ليس مفهوماً مجرداً عن ظروف الصراع والمواجهة، وإنما هو جزءٌ لا يتجزأ من الموقف السياسي في هذا الصراع الذي شطر الساحة الإسلامية إلى شطرين، فلنقرأ شطراً من هذا الولاء في زيارة الجامعة المعروفة:

«**أُشهدُ اللهَ وأُشهدُكُم أني مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به، مستبصر بكم وبضلالة من خالفكم، موال لكم ولأوليائكم، مبغض لأعدائكم ومعاد لهم، سلمٌ لمن سالمكم وحربٌ لمن حاربكم، محقّقٌ لما حققتُم، مبطل لما أبطلتم**».

وفي زيارة الحسين عليه السلام: «**لعن الله أُمة اسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت، ولعن الله امّة دفعتكم عن مقامكم وأزالتكم عن مراتبكم التي رتّبكم الله فيها**»، و«**اللّهمّ العن أوّل ظالم ظلم حق محمد وآل محمد وآخر تابع له على ذلك، اللهم العن العصابة التي جاهدت الحسين وشايعت وبايعت وتابعت على قتله، اللّهم العنهم جميعا**».

وفي زيارة عاشوراء غير المعروفة: «**اللّهم وهذا يوم تجدد فيه النقمة وتنزل فيه اللعنة على يزيد وآل يزيد وعلى آل زياد وعمر بن سعد والشمر. اللهم العنهم والعن من رضي بقولهم وفعلهم من أول وآخر لعناً كثيراً وأصلهم حرّ نارك واسكنهم جهنم وساءت مصيراً، واوجب عليهم وعلى كلّ من شايعهم وبايعهم وتابعهم وساعدهم ورضي بفعلهم لعناتك التي لعنت بها كلّ ظالم وكل غاصب وكلّ جاحد، اللهم العن يزيد وآل يزيد وبني مروان جميعاً، اللهم وضعّف غضبك وسخطك وعذابك ونقمتك على أول ظالم ظلم أهل بيت نبيك، اللهم والعن جميع الظالمين لهم وانتقم منهم انك ذو نقمة من المجرمين**».

الرضا والسخط:

ويدخل في الولاء والبراءة الرضا والسخط: الرضا عما يرضى به أولياء الله والسخط عما يسخط عليه أولياء الله.

والرضا والسخط والحب والبغض من أبرز أمارات الإيمان ومقوّمات الولاء والبراءة، وهو العمق الحقيقي للموقف السياسي، والموقف السياسي من دون هذا العمل ضحل غير مقاوم.

وهذا الارتباط والإيمان النفسي هو الذي يمنح الموقف السياسي العمق والمقاومة والصلابة.

الرضا والسخط في زيارة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام: «**اشهد الله وملائكته أنّي راض عمن رضيت عنه، ساخط على من سخطت عليه، مُتَبَرِّءٌ ممن تبرأت منه، موال لمن واليت، معاد لمن عاديت، مبغض لمن أبغضت، محب لمن أحببت**».

وفي فقرة أخرى من الزيارة: «**اشهد أني وليّ لمن والاك وعدوّ لمن عاداك وحرب لمن حاربك**».

السلم والتسليم:

ومن خصائص الموقف: السلم والتسليم، والتسليم مرتبة فوق السلم، فلابدّ أن يكون الموقف أولاً موقفاً مسالماً مطبوعاً بطابع السلم لله ولرسوله ولأوليائه وعباده الصالحين: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً**﴾.[1]

ولا يكون مشوباً بشائبة التحدي: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمُواْ أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا**﴾.[2]

---

(١) البقرة: ٢٠٨.

(٢) التوبة: ٦٣.

ولا طغياناً واستكباراً على الله تعالى: ﴿**وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي**﴾.[1]

ولا شقاقاً: ﴿**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾.[2]

ولابد أن يكون الموقف ثانياً قائماً على «التسليم» والطاعة لله ولرسوله ولأولياء أمور المسلمين، ولابد أن يطبع كل من «السلم» و«التسليم» نية العبد وقلبه وعمله وسلوكه في وقت واحد، ولابد أن يكون السلم والتسليم والتبعيّة في القلب، فإذا كان الأمر كذلك واتصف الموقف السياسي بالسلم والتسليم في النية والعمل وفي الباطن والظاهر فلا يستطيع الناس مجتمعين أن يتحدّوا هذا الموقف بموقف عكسي يجتمع عليه الناس وعندئذ يكون الإنسان المؤمن لوحده «أُمّة»، ينهض برسالة الأُمة ويمتلك صلابة ومقاومة الأُمّة، كما كان أبونا إبراهيم أبو الأنبياء عليه السلام لوحده امّة بنص القرآن: ﴿**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾.[3]

ومن دون السلم والتسليم لا يقوم موقف في التأريخ وإذا

---

(١) طه: ٨١.

(٢) الحج: ٥٣.

(٣) النحل: ١٢٠.

جرّدنا الموقف منهما لا يبقى منه شيء وهما روح كلّ بيعة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين؛ فان البيعة أن يبيع الإنسان كلّ ما آتاه الله من الرأي والحب والبغض والجهد والنفس والمال والبنين لله تعالى مرة واحدة ويتجرد من كل شيء لله تعالى ثم لا ينظر وراءه بعد ذلك حسرة على ما باع ومتردداً فيما فعل، فقد باع لله كل شيء وقبض الثمن فلا إقالة ولا استقالة وبيع ربيح. ذلك جوهر الموقف من أولياء أمور المسلمين وأئمة المؤمنين. تأمّلوا في النصوص التالية من زيارة رسول الله ﷺ وأهل بيته أئمة المسلمين عليهم السلام:

في زيارة رسول الله ﷺ: «**فقلبي لكم سِلْم ونصرتي لكم معدّة حتى يحكم الله بدينه، فمعكم معكم لا مع عدوكم**».

في زيارة الحسين عليه السلام: «**لبيك داعي الله إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري**».

وفي زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام: «**وقلبي لكم مسلّم وأنا لكم تابع ونصرتي لكم معدّة، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين**».

وفي زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعين: «**وقلبي لقلبكم سلم،**

وأمري لأمركم متّبع، ونصرتي لكم معدّة، حتى يـأذن الله لكـم، فمعكم معكم لامع عدوكم».

وهذه المعية التي يرددها الزائر في التعبير عـن موقفـه وولائـه لأئمة المسلمين روح الموقف والولاء. معيّة في السراء والـضراء، وفي السّلم والحرب، وفي اليسر والعافية والشدة والمحنة، ومعيّـة في الدنيا وفي الآخرة إن شاء الله.

الدعاء بالنصر الثأر:

ومن متطلبات الموقف الدعاء بالنصر، فعندما يكون الموقـف صادقاً نابعاً من القلب يطلب الإنسان النـصر مـن الله تعـالى لإمـام المسلمين وللمـسلمين بكـل وسـيلة، ومـن هـذه الوسـائل الـدعاء بالنـصر بـين يـدي الله تعـالى والـدعاء مـن أفـضل هـذه الوسـائل وأحسنها غير أنّه لا يغني عن العمل والعطاء والتضحية.

وقد ورد الدعاء بهذا المضمون لدعم الموقـف الـسياسي فـي كثير من نصوص الزيارات المروية عن أهـل البيـت عليهم السلام والـيكم نماذج من ذلك:

في زيارة الإمام المنتظر المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله وعجلّ الله تعالى فرجه نقرأ: «**اللهم انصره وانتصر بـه لـدينك، وانـصر بـه أوليائك، اللهم وأظهر به العدل، وأيّده بالنصر، وانصر ناصـريه، واخـذل خاذليـه، واقـصم بـه جبـابرة الكفـر، واقتـل الكفّـار والمنافقين، واملأ به الأرض عدلاً، واظهر به دين نبيك**».

ومن نماذج ذلك، الدعاء للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف:

«**اللهم انك أيّدت دينك في كلّ أوان بإمـام أقمتـه لعبـادك ومناراً في بلادك بعد أن أوصلت حبله بحبلك، وجعلته الذريعة إلى رضوانك...**

اللهم فأوزع لوليك شكر ما أنعمت به عليـه، واوزعنـا مثلـه فيه، وآته من لدنك سلطاناً نصيراً، وافتح له فتحاً يـسيراً وأعنـه بركنك الأعز، واشدد أزره، وقوّ عضده وراعه بعينـك، واحمـه بحفظك، وانصره بملائكتك، وامدده بجندك الأغلب، وأقـم بـه كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك صلى الله عليه وآله وأحـي بـه مـا أماته الظالمون من معالم دينك، وأجـل بـه صـدأ الجـور عـن طريقك، وابن به الضراء مـن سـبيلك، وأزل بـه النـاكبين عـن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عوجاً، وألن جانبـه لأوليائـك، وابسط يده على أعدائك، وهـب لنـا رأفتـه ورحمتـه وتعطفـه وتحنّنه، واجعلنا له سامعين مطيعين، وفي رضـاه سـاعين والـى نصرته والمدافعة عنه مكنفين».

وفي زيارة الإمام صاحب الزمان عليه السلام وعجل الله فرجه أيضاً:

«**اللهم أنجز لوليك ما وعدته، اللهم اظهر كلمته وأعل دعوته وانصره على عدوه وعدوك، اللهم انصره نصراً عزيزاً، وافتح لـه فتحاً يسيراً، اللهم وأعز به الدين بعد الخمول، واطلع بـه الحـق بعد الأفول، واجلُ به الظلمة، واكشف به الغمة، وآمن به البلاد، وأهد به العباد، اللهم املأ به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً**».

الدعاء بالثأر:

«الثأر» والدعاء بـ «الثأر» جزء من الموقف؛ إن موقف أسرة التوحيد من إبراهيم عليه السلام بل من نوح عليه السلام إلى اليوم موقف واحد، والخط والمنطلق والغاية خط واحد ومنطلق واحد وغاية واحدة، ويمتد هذا الموقف من لَدُن إبراهيم عليه السلام إلى أن يظهر المهدي من آل محمد عجل الله فرجه ليختم الله على يده بالنصر والفتح، هذه المسيرة الحافلة بالدماء والدموع والفتوحات والانتكاسات والبأساء والضراء، ولينتقم الله تعالى به من الذين قتلوا وظلموا واضطهدوا قادة هذه المسيرة وأئمتها وأبناءها، والذين صدّوا عن دين الله.

وأعظم ما مرّ على هذه الأسرة من المصائب والفتك والظلم والبطش والقتل مصرع الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام في كربلاء.

فنطلب من الله أن يجعلنا ممّن ينتقم به من أولئك الظالمين وامتدادهم واتباعهم أو ممن رضي بفعلهم.

فإن الثأر ممن يسير على خطهم وينهج نهجهم ويرضى بفعلهم من الانتقام والثأر الذي يشفي به الله تعالى قلوب قوم المؤمنين ويغيظ به قلوب المنافقين والمشركين.

وقد ورد الدعاء بالثأر كثيراً في نصوص زيارة الحسين عليه السلام وزيارة ولده الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ومن ذلك ما ورد في زيارة عاشوراء غير المعروفة: «**اللهم واجعلنا من الطالبين بثأره مع إمام عدل تعزّ به الإسلام وأهله يا ربّ العالمين**».

٢ـ الزيارة في دائرة العلاقة الشخصيّة:

في هذه الدائرة تتضح وتقوى الحالة التبادلية في العلاقة، وينشط الأخذ والعطاء بين الزائر والمزور.

واهم الخصال التي تكتسبها العلاقة بين الزائر والمزور في هذه الدائرة هي:

١ـ الدعاء لرسول الله وأهل بيته والصلاة عليهم واستنزال الرحمة عليهم من عند الله: «**اللهم صلّ على محمد وآله صلوات تجزل لهم بها من نحلك وكرامتك، وتكمل لهم الأشياء من عطاياك ونوافلك، وتوفر عليهم الحظ من عوائدك وفواضلك**».

وفي زيارة رسول الله ﷺ: «**اللهم صلّ على محمد وآل محمد وبارك على محمد وآل محمد، كأفضل ما صليت وباركت وترحمت وتحننت وسلمت على إبراهيم وآل إبراهيم**».

٢ـ الدعاء له ﷺ: ولأهل بيته أن يجعلهم الله تعالى وسائل لعباده إلى رحمته وشفعاء لعباده إليه، في زيارة رسول الله ﷺ: «**اللهم أعط محمداً الوسيلة والشرف والفضيلة والمنزلة الكريمة، اللهم أعط محمداً اشرف المقام وحباء السلام وشفاعة الإسلام، اللهم ألحقنا به غير خزايا ولا ناكثين ولا نادمين**».

وفي زيارة رسول الله ﷺ: «**اللهم وأعطه الدرجة والوسيلة من الجنة وابعثه المقام المحمود، يغبطه به الأولون والآخرون**».

٣ـ التوسل برسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وطلب الشفاعة منهم بإذن الله: «**فاجعلني اللهم بمحمد وأهل بيته عندك وجيهاً في الدنيا والآخرة، يا رسول الله إني أتوجه بك إلى الله ربّك وربي ليغفر لي ذنوبي ويتقبل مني عملي ويقضي لي حوائجي فكن لي شفيعاً عند ربّك وربي، فنعم المسؤول المولى ربي ونعم الشفيع أنت يا محمد عليك وعلى أهل بيتك السلام**».

في زيارة أئمة أهل البقيع عليهم السلام: «**وهذا مقام من أسرف وأخطأ واستكان، وأقرّ بما جنى، ورجى بمقامه الخلاص... فكونوا لي شفعاء، فقد وفدت إليكم إذ رغب عنكم أهل الدنيا واتخذوا آيات الله هزواً واستكبروا عنها**».

وفي زيارة حمزة عمّ رسول الله ﷺ: «**أتيتك من شقة بعيدة طالباً فكاك رقبتي من النار وقد أوقرت ظهري ذنوبي وآتيت ما اسخط ربي ولم أجد أحداً افزع إليه خيراً لي منكم أهل بيت الرحمة فكن لي شفيعاً**».

٤ـ التوجه إلى الله تعالى بسؤال صحبتهم وجوارهم في الآخرة والثبات على هديهم وصراطهم في الدنيا، وأن نعيش في الدنيا

كما عاشوا ونموت على ما ماتوا عليه، ونحشر في زمرتهم ومعهم في الآخرة كما رزقنا الله هداهم ومودّتهم في الدنيا.

ورد في زيارة رسول الله ﷺ: «**اللهم وأعوذ بكرم وجهك أن تقيمني مقام الخزي والذل يوم تهتك فيه الأستار وتبدو فيه الأسرار، وترعد فيه الفرائص ويوم الحسرة والندامة، يوم الآفكة، يوم الآزقة، يوم التغابن، يوم الفصل، يوم الجزاء، يوماً كان مقداره خمسين ألف سنة، يوم النفخة، يوم ترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، يوم النشر، يوم العرض، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم يفرّ المرء من أخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه، ويوم تشقق الأرض وأكناف السماء، يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، يوم يُردون إلى الله فيُنبؤهم بما عملوا، يوم لا يغني مولى عن مولى**».

وبعد هذه الجولة بطلب صحبة رسول الله وأولياء الله في ذلك اليوم الرهيب:

«**اللهم ارحم موقفي في ذلك اليوم ولا تخزني في ذلك الموقف بما جنيت على نفسي، واجعل يا ربّ في ذلك اليوم مع أولئك منطلقي وفي زمرة محمد وأهل بيته عليهم السلام محشري واجعل حوضه موردي وأعطني كتابي بيميني**».

في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام: «**فجمع الله بيننا وبينك وبين رسوله وأوليائه**».

وورد في بعض نصوص الزيارات: «**وثبّت لي قدم صدق مع الحسين وأصحاب الحسين الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام**».

وفي دعاء علقمة بعد زيارة عاشوراء:

«**اللهم أحيني حياة محمد وذرية محمد وامتني مماتهم وتوفني على ملتهم واحشرني في زمرتهم ولا تفرّق بيني وبينهم طرفة عين أبداً في الدنيا والآخرة**».

وفي زيارة عاشوراء غير المعروفة:

«**اللهم فصلّ على محمد، وآل محمد واجعل محياي محياهم ومماتي مماتهم، ولا تفرّق بيني وبينهم في الدنيا والآخرة انك سميع الدعاء**».

وفي زيارة الجامعة:

«**فثبتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم ومحبتكم، ووفّقني لطاعتكم، ورزقني شفاعتكم وجعلني من خيار مواليكم التابعين لما دعوتم إليه وجعلني ممن يقتص آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهداكم، ويحشر في زمرتكم، ويكرّ في رجعتكم،**

ويملك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويمكّن في أيـامكم، وتقرّ عينه غداً برؤيتكم».

وفي زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام:

«**فجمع الله بيننا وبينك وبـين رسـوله وأوليائـه فـي منـازل المخبتين**».

وبهذه الصورة تكتمل أواصر العلاقة بين الزائر والمزور. وهي علاقة متبادلة، فيها دعاء وسلام وصلوات على المزور مـن ناحيـة الزائر، وفيها الـدعاء مـن الله بطلـب شـفاعة المـزور وصـحبته فـي الدار الآخرة، والواسطة في هذه العلاقة في كل من الطـرفين هـو الله، فهو سبحانه وتعالى المسؤول أولاً وأخيراً.

الفهرس